كلمة الناشر

هذا الكتاب

لقد ألف سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كتابه "آئينة كمالات إسلام" (أي "مرآة كمالات الإسلام"، واسمه الآخر "دافع الوساوس") باللغة الأردية، إظهارًا لكمالات الإسلام وردًّا على وساوس القسوس وبراهمة الهندوس والملاحدة وبعض ضعاف المسلمين المنهزمين أمام الثقافة الغربية. فاقترح عليه صحابيه الجليل المولوي عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه أنه ربما يكون من المستحسن لو ضم حضرته إلى هذا الكتاب رسالةً موجّهةً إلى "المتصوفة" الغارقين في صنوف البدعات، والمعرضين عن تعاليم القرآن، والغافلين عن هذه الجماعة التي أقامها الله تعالى بيده. فاستحسن عليه السلام هذا الاقتراح، وقال بهذا الصدد ما تعريبه:

"كنت أنوي تأليف هذه الرسالة باللغة الأردية، ولكن تبين لي – بناء على بعض الإشارات الإلهامية التي تلقيتها البارحة – أن هذه الرسالة يجب تأليفها بالعربية. كما تلقيت إلهامًا بأن القوم لن يتأثروا منها إلا قليلاً، غير أن الحجة ستتم عليهم." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٤ ص ٣٦٠)

فألف حضرته عليه السلام هذا السفر العظيم وسماه "التبليغ" وضمّه إلى كتابه هذا (آئينة كمالات إسلام)، كما نشره على حدة أيضًا.

والمتصـــفح لهذا الكتاب سيجده قد صِيغَ بلغة عربية أصيلة عريقة تُظهر جليًّا مقدرة حضرته عليه السلام، وتبرز نقاء العين التي كان ينهل منها، ناهيك عما يفيض به الكتاب من معارف قرآنية فريدة وعلوم روحانية مبتكرة، وعاطفة جياشة تجاه النبي ﷺ وأمته، وتأثُّرٍ بالغ لحالها المتردّي.

في مستهل الكتاب يخبر عليه السلام أن الله تعالى أقامه مجدِّدًا ومحدَّثا ومسيحًا موعودًا وناداه قائلا:

"واصنعِ الفُلك بأعيننا ووحينا، وأَنذِرْ فإنك من المأمورين"؛ وأخبره الله أن المسيح ابن مريم عليه السلام قد مات كغيره من الأنبياء.

ثم يخاطب المسلمين قائلا: "أيها الناسُ، اذْكُروا شأن المصطفى ﷺ، واقرأوا كتب النصارى، وانظروا إلى صولتهم على عِرض سيد الورى. فلا تُطروا ابنَ مريم، ولا تعينوا النصارى، يا وُلدَ المسلمين. أَلِرَسُولِنا الموتُ، والحياة لعيسى؟ تلك إذًا قسمةٌ ضيزى"!!

كما يسوق الأدلةَ على موت عيسى عليه السلام، موضحًا المرادَ من نزوله في الأمة المحمدية. ويبين أن الدجال هم قُسُس النصارى، وأن يأجوج ومأجوج هم الأمم الغربية.

ثم يردّ عليه السلام على المشائخ الذين سارعوا إلى تكفيره بسبب دعواه. ثم يندد بالمتصوفة الغارقين في بدعاتِ البراهمة، نابذين وراء ظهورهم القرآنَ والسنّةَ، ومتقاعسين عن الذود عن بيضة الملة.

كما يدعو مشائخ الهند إلى أن يكفّوا عن تكفيره وتفسيقه، أو يباهلوه، ليميز الله الصادقَ من الكاذب.

بعده يوجّه كلامه إلى العرب بنبرة رقيقة مليئة بالحب والتقدير، ويخاطبهم قائلا: يا أهلَ أرض النبوة، وجيرانَ بيت الله، وطليعةَ الإسلام، وحَمَلةَ القرآن، لا تصدِّقوا ما يفشي ويفتري مشايخُ الهند ضدي، بل انظروا في دعواي وأدلة صدقي بأمانة وتقوى الله، وبالتالي صدِّقوني وأيِّدوني غيرةً على الإسلام وعلى عِرض المصطفى ﷺ.

ثم يوضح لهم بأن الله لما رأى المتنصرين في هذا الزمن قد بالغوا في إيذاء رسول الله ﷺ واحتقاره، وأَطرَوا ابنَ مريم إطراء كبيرًا، اشتد غضبه، فخاطبه وقال: إني جاعلك المسيح، لكي يعلم هؤلاء الغُلاةُ أن عيسى ما تفرَّدَ كتفرُّد الله، وأنه ﷻ قادر على أن يجعل أحدًا من أمة نبيه المصطفى ﷺ عيسى آخر.

ثم يعرّف حضرته نفسه وعائلته، وظروفَ انتقالهم إلى قريتهم المسماة بـــ قاديان، بالهند.

كما يذكر حال المسلمين التعيسة بالهند في عهد السيخ الذين كانوا لا يسمحون للمسلمين بإقامة شعائر الإسلام، وأقلُّها رفعُ الأذان، وقاموا بتحويل المساجد إلى اصطبلات الخيول وحظائر الأبقار. ثم جاء الإنجليز، ونجَّوا المسلمين من ظلم السيخ.

ثم دعا الملكةَ البريطانية فكتوريا إلى الإسلام، وأشار عليها بأن تُكرم المسلمين فقال: "أَرْضيهم فإنك وردتِ أرضَهم، وداريهم فإنك نزلتِ بدارهم، وآتاكِ الله مُلكَهم الذي أمروا فيه قريبًا من ألف سنة."

وبعدها يذكر كيف أُلقيَ في قلبه حب القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، وكيف أُعطيَ معارف القرآن وحقائقه.

ثم يسجّل – عليه السلام – بعض الرؤى والكشوف والأنباء الغيبية والإلهامات التي أنعم الله بها عليه، كما يذكر بعض أصحابه المخلصين. ويختم الكتاب بثلاث قصائد رائعة، في حمد الله ﷻ ومدح المصطفى ﷺ، وبيان حالة المشائخ المعارضين.

هذه الطبعة

لقد ألّف سيدنا أحمد عليه السلام زهاء خمسة وعشرين كتابًا باللغة العربية، ولكنها لم تصدر على شكل كُتب منفصلة منذ فترة طويلة، وإنما نُشرت ضمنَ الطبعة المعروفة بـــ "الخزائن الروحانية" التي تشتمل على كل ما كتبه عليه السلام بالعربية والفارسية والأردية. فأمر إمامنا الراحل سيدنا مرزا طاهر أحمد – رحمه الله – الخليفةُ الرابع لسيدنا أحمد عليه السلام بإخراج الكتب العربية منها بصورة منفصلة.

ثمة أمور أخرى لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- لقد اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأُولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام عام ١٨٩٣م، والمحفوظةِ حاليًا في مكتبةِ "الخلافة" المكتبةِ المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكَتَبَ – عمومًا – عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.

٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنةُ العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيِّزت عن الهوامش الأصلية *بالخط المائل*.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقًا

من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والسنة الشريفة وكتب التراث. ولربما كان المسيح الموعود عليه السلام قد استخدمها ليُظهر بعض ما حباه الله به من كنوز هذه اللغة المقدسة، إفحامًا للمشايخ الذين نعتوه بالجهل التام بهذه اللغة المباركة. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: تركُ ظاهر اللفظ وحملُه على المعنى، وهو كثير، كقوله عليه السلام:

– يا أهل أرض النبوة وجيرانَ بيت الله العظمى (ص ٣٣) أي الكعبة العظمى.

– أجد قلبي مائلا إلى القرآن ودقائقها (ص ١٠٣) أي إلى صحيفة القرآن ودقائقها.

والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها قول الله تعالى:

– تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا (الكهف:٦٠)

ويقول الثعالبي: "من سنن العرب تركُ حكمِ ظاهرِ اللفظ وحملُه على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص.... وقال الله عز وجل ﴿السماء منفطر به﴾ فذكّر السماءَ وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف". (فقه اللغة وأسرار العربية ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلمْ أن هذا النوع غَورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا أو منظومًا، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله عز وجل ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص *(أو*

الجرم)" (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، الجزء الثاني، ص ١٠٢ الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥).

ثانيًا: تخفيف الهمزة وقلبُها، وهو كثير جدًّا، كقوله عليه السلام:

– فنحن بريّون منها (ص ١٤) أي بريئون جمعُ بريءٍ.

– الذين يصيبون في استقراء المسالك ولا يُخطون (ص ٨٨) أي لا يخطئون.

ولتخفيف الهمزة وقلبها أشكال وقواعد كثيرة في العربية (انظر جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني، المجلد الثاني ص ١٢١ طبعة ١٩٩٤)

ثالثًا: ورود الأفعال النادرة الاستعمال، ومثاله قوله عليه السلام:

– "إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم من كل نوادر الأرض وأملأ بيوتكم منها..." (ص ٦٥)

ومثاله في التراث:

عن سيف بن عميرة قال: حدثني من سمع أبا عبد الله يقول: من كظم غيظا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه أملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه. (الكافي، لثقة الإسلام الكليني، الجزء الثاني، كتاب الإيمان والكفر باب كظم الغيظ. دار الكتب الإسلامية طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ هش)

رابعًا: دخول "ال" على العَلم، ومثاله قوله عليه السلام:

– أهذا الذي سُفك له دماءُ سراة العرب وعظائمِ القريش ببدرٍ (صفحة ١١٨).

ومن نظائره في التراث:

"... فبلغ رسولَ الله ﷺ أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن زمعة وسهيل بن عمرو قد جمعوا جماعة من القريش

والأحابيش بالخندمة، ليقاتلوا رسول الله ﷺ..." (ثقات ابن حيان، سنة ٨، دخوله مكة، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، الجزء الثاني صفحة ٤٩)

وأيضًا: "وأما الزبير بن عبد المطلب فكنيته أبو الطاهر، مِن أجلّة القريش وفرسانها..." (المرجع السابق، السنة العاشرة: أولاد عبد المطلب صفحة ١٣٥)

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم الأساتذه الأفاضل: مصطفى ثابت، موسى أسعد عودة، طه القزق، تميم أبو دقة، المرحوم موسى سرور نايف، سيد عبد الحي شاه، المرحوم مولانا عطاء الله كليم، مولانا جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، مولانا مبشر أحمد كاهلون، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر، جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

وأخيرًا، نبتهل إلى الله – جل شأنه – أن يجعل هذا السِّفْر المبارك سببا لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.

الناشر